البلاغة..
جولة في مملكة المفهوم طولاً وعرضًا

د. فريد أمعضشو
كاتب وأكاديمي مغربي

يتضح من تصفُّح معاجم اللغة العربية أن أبرز معاني «البلاغة» فيها هو الانتهاء والوصول. يُقال: «بلغ فلان تلك الغاية بلوغًا وبلاغًا إذا وصل إليها». وبالمعنى نفسِه ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف: ٢٢). ومبْلَغُ الشيء منتهاه. وبلَّغ الرسالة تبليغًا إذا أوْصلها إلى الوجهة المَعْنية. وفي «أساس البلاغة» للزمخشري: «بلغ الرجل بلاغةً فهو بليغ، يحْسِنُ إيصال معناه. وتبالَغ في كلامه إذا تعاطى البلاغة وادّعاها، دون أن يكون من أهلها». والواقع أن جانبًا مهمًّا من هذه الدلالة المعجمية يحضر في مفهوم البلاغة الاصطلاحي كذلك، بصورة جليّة، على نحْوِ ما سنرى فيما يأتي.

لقد قُدِّمت للبلاغة، في الاصطلاح العلمي، تعاريفُ من الوفرة بمكان، قديمًا وحديثا، من قبل العرب وغير العرب؛ ممّا يدل على انشغال العلماء بتحديدها، واحتفالهم بها، وإنْ نظروا إليها نظرات مختلفة أحيانًا عديدة. فهي عند أرسطو طاليس -الذي يعدُّ حسب كثيرين المؤسِّس الفعلي للبلاغة- «حُسْن الاستعارة، وفنّ خطابي يتوسل بالحجج والبراهين للإقناع والتأثير في المُخاطَبين ذهنيا ووُجْدانيا وسلوكيًّاللّه. ولتُحققَ البلاغة غايتها هذه»، يَشترط فيها أرسطو الانبناء على أربعة عناصر رئيسة، هي: إبداع الحُجج وآليات الإقناع، وتنظيمها، وعرْضها عرْضًا أساسُهُ الفصاحة والبيان والوضوح، وأخيرًا الفعل أو الأداء، مع ما يستلزمه من مُسْتَتبَعات صوتية وحركية وإيمائية وغيرها. ولأرسطو في هذا الإطار الـ Poétique، وRhétorique، وTopiques.

وإذا كان هذا هو مفهوم البلاغة لدى هذا الفيلسوف الإغريقي الأشهر، فإن لها في الثقافات الأخرى معانيَ عدة، ألمَّ ببعضها أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، في «البيان والتبينُّ»؛ فذكر أن المقصود بالبلاغة لدى الفارسي «معرفة الفصل من الوصل»، ولدى الرومي «حسنُ الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة». وهي لدى الهندي «وُضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحُسْن الإشارة... إلخ». ويمكن للقارئ الاطلاع على عدد مهم من تعاريف البلاغة الاصطلاحية في «باب البلاغة» من «عُمدة» ابن رَشِيق القيرواني.



ركَّز علماءُ كُثُرٌ في تعريفهم البلاغةَ على مسألة الإيجاز والإطناب، فعَدُّوها مرادِفةَ الإيجاز، أو «جوامع الكَلِم»؛ أي إنها صفة تُلصَق بالكلام ذي اللفظ القليل ولكن من غير إخلال، الدالّ على المعنى الكثير، وقد تُطلق على الكلام المُسْهَب إسهابًا مجْديا وغير ممِلّ. فقد سُئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فأجاب بأنها «قليل يُفهَم، وكثير لا يُسْأم». وقال آخرُ: «البلاغة إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى». وسُئل آخر عن معناها، فقال -مجُيبًا-: «إنها معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة». وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فأجاب: «إصابة المعنى، وحسن الإيجاز». وقال المفضل الضبيّ: «قلتُ لأعرابيٍّ: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجْز، والإطناب من غير خَطَل». وقال معاوية -رضي الله عنه- لعمرو بن العاص: «مَنْ أبلغُ الناس؟ فأجاب: من اقتصر على الإيجاز، وتنكَّب الفُضول». وقال عبد الله بن المعتز: «البلاغة بلوغ المعنى، ولمّا يَطُلْ سَفَرُ الكلام».

ونجد بعضَهم يعرّف البلاغة بما لا يبْعُد عن النقطة الأساسية المُركَّز عليها في التعاريف المقدَّمة في هذه الفِقرة، وذلك بوصفها إشارة أو تلميحًا؛ كما في قول خلف الأحمر: «البلاغة لمحة دالّة»، وقول الخليل الفراهيدي: «البلاغة كلمة تكشف عن البقية».

ويلحُّ آخرون في تعريف البلاغة على عنصر السياق أو المقام التخاطُبيّ، مؤكِّدين أنّها وصفٌ لكل خطاب أو كلام يراعي فيه صاحبُه -متكلمًا كان أو كاتبًا- أحوالَ المُخاطَبين وخواصَّهم الذهنية والنفسية والاجتماعية وغيرها، فيرْسله في صورة تناسب هؤلاء، وتضْمن له حصول التجاوُب والاستجابة والتفهُّم. وعلى هذا الأساس، فقد عُرّفت البلاغة، لدى كثيرين -كالقزويني-، بأنها «مطابَقة الكلام لمُقتضى الحال، مع فصاحَته». وقال آخر: «البلاغة أن تُفهِم المخاطَبَ بقدْر فهْمه، من غير تعبٍ عليك».

إن البلاغة -كما هو واضح- تستهدف إبلاغَ المتكلم حاجتَه وإيصالهَا إلى المتلقي، ولكنْ في صورةٍ من القول حسنةٍ وبديعة ومفارقة للكلام التقريري المباشر؛ ولذلك، ألْفيْنا جملةً من تعاريف البلاغة تستحضر هذا البعد الفني الجمالي منذ القديم. الأمرُ الذي يتيح للخطاب البليغ التوفيقَ، على نحْوٍ متكامل، بين جانبي اللفظ والمعنى. فهذا عليّ بن عيسى الرُّمّاني المعتزلي (ت ٣٨٦ هـ) يعرّف البلاغة بأنها «إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ». وعرّفها آخر بأنها «حسن العبارة، مع صحة الدلالة». وحدّدها أبو هلال العسكري بقوله: «البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلبَ السامع، فتمكِّنه في نفسه كتمكُّنه في نفسك، مع صورةٍ مقبولة ومَعْرِض حسن». ونصَّتْ تعاريف أخرى على جملة من المقوِّمات التي تحقق جمالية الكلام البليغ، وحسنَ مظهره؛ مِنْ مثل اتساق عناصره وتماسُكها حتى ليغدو ذلك الكلام بمثابة لحمة ذات وحدة عُضوية، ومن مثل توظيفه عددًا من الأساليب الفنية. إذ عرَّفها أحدهم بأنها «القوة على البيان، مع حسن النظام». وعرّفها آخر بالقول: «البلاغة أنْ يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخرُه يرتبط بأوّله». وحدَّدَها أبو يعقوب السكاكي بأنها «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواصِّ التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها».

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث، فإننا نجد كذلك تعاريف كثيرة حُدِّد بها مفهوم البلاغة، سواء في النقد الغربي أو النقد العربي. وحَسْبُنا، ها هنا، أنْ نورد بعضها فقط ممَّا يتردد في الكتابات الحديثة والمعاصرة، وإنْ كان عددٌ منها واضحَ التأثر بتعريفات القدماء. فقد عرَّفها أحد الدارسين الغربيين بأنها «المَلَكَة في أنْ تعْرف كل الأساليب الممكنة لتُقنع السامع في أي موضوع مهما كان». وعرفها آخر بأنها «علم التعبير، ونقد الأساليب». وعرفها جينغ (Ginng) بأنها «فنُّ تطبيق الكلام المناسب للموضوع أو حاجة القارئ أو السامع».



ويعرِّف محمد عبد القادر أحمد البلاغةَ بأنها «علم يحدِّد القوانين التي تحكْم الأدب، والتي ينبغي أن يتَّبعها الأديب في تنظيم أفكاره وترتيبها، وفي اختيار كلماته والتأليف بينها في نسَق صوتي معين». ويعرِّفها عرفان مطرجي بقوله: «البلاغة هي مطابقة الكلام لما يقتضيه حالُ الخطاب، مع فصاحة ألفاظه، وإذا علمْنا أن المقتضى هو «الاعتبار المناسب»، وأن حال الخطاب هو «المقام»، أصبح التعريف على الشكل التالي: «البلاغة هي مطابقة الكلام للاعتبار المناسب للمقام، مع فصاحة ألفاظه». ويعرفها آخر بأنها «تأدية المعنى الجليل بعبارة صحيحة، لها في النفس أثر خلاَّب، مع ملاءمة كل كلام للمَوْطِن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخُاطبون به».

بناءً على ما سلف كله، يمكننا صياغة تعريف للبلاغة، يتأسَّس على عناصرَ من التعاريف السابقة، على النحو الآتي: (البلاغة هي إيصال الفكرة أو المعنى إلى المتلقي في مَعْرِضٍ كلامي جميل، بهدف إقناعه والتأثير فيه، مع ضرورة مراعاة أحوال هذا المتلقي نفسِه، ومقامات التخاطب حتى يحُقِّق الخطاب مقاصدَه). ذلك بأنّ لكل مقامٍ مقالاً كما قيل قديمًا؛ لذا تجد سياقاتٍ يصلح لها الكلام الموجز، وأخرى تحتاج إلى التفصيل والإطناب، وأخرى تحتِّم على المتكلم استعمال لغة الوضوح والمُباشَرَة.

إن البلاغة إذًا صفة يُوسَم بها اللفظ، كما يوسَم بها المعنى، بل إنها تطال التراكيب أيضًا، أو ما أسماْه عبد القاهر الجُرْجاني (ت ٤٧١هـ) بـ «النظْم»، وهو مؤلَّف من التحام الألفاظ بمعانيها، ومن التعالق الجدلي بينهما. على أنه لمّا تكون على المستوى اللفظي فحسْبُ فإنها تُدْعى حينذاك «الفصاحة». هذا على رأي من يميِّز بين المفهومين؛ كابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) في «سر الفصاحة»؛ إذ إنه فرَّق بينهما على أساس أن الفصاحة تخصُّ الألفاظ فقط، وقسَّمها إلى فصاحة الكلمة المفردة وفصاحة الكلام، ولكلٍّ منهما شروط يتوقف عليها تحققها. زِدْ على ذلك فصاحة المتكلم التي تستوجب -هي الأخرى- جملة من الشروط والمُواصَفات. على حين أن البلاغة عامة في الألفاظ والمعاني؛ كما أكد ابن سنان وآخَرُون. ومن هنا نستنتج أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحا أيضًا، وأنه قد يكون فصيحَ اللفظ، وهو غيرُ بليغ، إذا لم يسْتوْفِ معناه شروط البلاغة، وإذا لم يناسبْ لفظه السياق المَقول فيه، وحالَ المخاطَب به. ونجد -في المقابل- علماءَ آخرين يستعملون المصطلحين بوصفهما مترادفين؛ كالجوهري (ت ٣٩٣هـ) في «الصحاح»، والعسكري في «الصناعتين».

ويتبينَّ مما تقدَّم أيضًا أن مُعَرِّفي البلاغة اختلفوا في تحديد طبيعتها بين مَنْ يعدُّها علمًا تحكمه ضوابط ونواميس محددة، وبين مَنْ يجعلها فنًّا من فنون القول، وبين من ينظر إليها بوصفها ملكة من الملكات، لا تحصل للمرء إلا بطول المطالعة والمران والاحتكاك بالكلام البليغ في المظانِّ الأدبية، وإلا بعد مدة من الزمن غير قصيرة، بل إن المرء قد يستنفدُ عمره كله دون أن يبلغ تلك المرتبة؛ كما قال حازم القرطاجنيِّ (ت ٦٨٤هـ) في «منهاج البلغاء»: «وكيف يظنُّ إنسان أن صناعة البلاغة يتأتَّى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحرُ الذي لم يصل أحدٌ إلى نهايته، مع استنفاد الأعمار».

ولا مناص من الإشارة ها هنا إلى أن قدماء العرب عبرَّوا، أحيانًا، عن مفهوم البلاغة باسم «البيان»؛ كما عند ابن وهب (ت ٣٣٥هـ) في كتابه «البرهان في وجوه البيان»، وعبرَّوا عنه، أحيانًا أخرى، باصطلاح «البديع»؛ كما عند ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) في كتابه المشهور المُعَنْوَن بهذا اللفظ نفسه، والذي لم يقتصر فيه على تناول مباحث علم البديع التي نعرفها، بل تناول فيه

ألوانًا بلاغية من غير المحُسِّنات البديعية. ومنهم مَنْ أطلق على ذلك المفهوم مصطلح «النقد». يقول بدوي طبانة في كتابه «علم البيان»: «إن المتقدِّمين كانوا يُسمُّون علم البلاغة وتوابعها بعلم نقد الشعر، وصنعة الشعر، ونقد الكلام. وفيه ألَّف أبو هلال العسكري كتابًا سمّاه (الصناعتين)، ويعني بذلك النظم والنثر، وألف قُدامة بن جعفر كتابا سمّاه: نقد (الشعر)».

وإذا كان بعضهم يزعم أن البلاغة ارتبطت في نشأتها بالأدب نفسه، إلا أن آخرين يؤكدون أنها نشأت لدى الأغارقة قديمًا، في بيئة خطابية ديمقراطية تتيح هامشًا واسعًا للتعبير الحُرِّ عن الأفكار والمشاعر، تتمثل في الجوِّ الأثيني على عهد بركليس وأضْرَابه. وعرَفت مُنذئذٍ تحولات مهمة، على مختلِف الصُّعُد.

ولعل أول مَنْ تناول البلاغة عربيًّا، وبحثها بشيء من التفصيل، هو الجاحظ، وإنْ جاءت آراؤه في هذا الإطار متفرقة في كتبه، ولا سيما في «البيان» و«الحيوان»، وغير منسَّقة ولا مقعَّدة، بل كانت بسيطة وفطرية. ويرى الناقد نفسُه أن البيان هو «وضوح الدلالة»، ومعنى ذلك أنْ يتمكَّن المتكلم أو الكاتب من إيصال أفكاره إلى المُخاطَب بطريقة واضحة مُبِينة وكاملة، لا نقصَ فيها ولا تشويه ولا تعقيد، بغضِّ الطرْف عن أداته المستعْمَلة في هذا الإيصال، والتي قد تكون إشارة أو رسما أو حالا دالة على صاحبها أو غير ذلك. وتبقى اللغة –منطوقة كانت أو مكتوبة– في نظر الجاحظ، أجْود تلك الأدوات كلها وأرْقاها وأقدرها على الإبانة والإفصاح، إلا أن هذه الأداة قد تصيبها عوارض فتؤثر في درجة بيانها؛ كالعيوب الخِلقية من تأتأة وفأفأة وغيرهما، وكالعيِّ والعجز عن إنتاج الكلام لخللٍ في القدرات العقلية لدى المتكلم.

وقد أسهم في تطوير البلاغة العربية، بعد الجاحظ، ثلةٌ من علمائنا الأفذاذ؛ كابن المعتز في «البديع»، وابن طباطَبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في «عيار الشعر»، وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) في «نقد الشعر»، وأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في «كتاب الصناعتين»، وأبي بكر الباقلاَّني (ت ٤٠٣هـ)، وابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه». فقد ضمَّن هؤلاء كُتبَهم جملةً من مباحث البلاغة وفنونها وأساليبها، تتفاوت كمًّا ونوعًا من مؤلف لآخر، وظلتِ البلاغة عندهم فطرية وغير مقنَّنة ولا منظَّمة على نحو محْكم. أي أنها كانت –كما يقول رحمن غرگان في كتابه «نظرية البيان العربي»– طرق في الأداء الفني الفطري غير الخاضع للقاعدة أو التقنين، بقدْر صُدوره عن عناصر؛ مِنْ صفاء الذات، وقوة الطبع، وحدة العاطفة، والانتماء للبيئة، وتوخي التأثير في الآخر من دون أنْ يكون لكل ذلك أسس وقواعد محددة.. إنما التجربة في أثناء الأداء هي التي تجترح عناصرها ومعاييرها».

في هذا المرحلة كانت البلاغة نصًّا فنيًّا، ولم تكن قواعد محددة أو أساليب معلومة، كانت كلامًا صادرًا عن صفاء الطبع، وليس قولا صادرا عن جودة الصنعة. كانت نصوصًا بيانية موصولة بالتعبير عن واقع الناطقين بها، وحال الذين يتنفّسُونها لسانًا واحدًا، ولم تكن بَعْدُ نصوصًا صدر قائلها عن التقليد، أو كاتبُها عن الالتزام بقواعد محددة مستْقاة من تجارب السابقين». (ص ١٣)

ولم تَسْتوِ البلاغة لدى العرب علمًا ذا قواعد راسخة منظَّمة إلا مع عبد القاهر الجرجاني، في القرن الهجري الخامس. وهو يُعدُّ، فعلاً، المؤسس الحقيقي لهذه البلاغة؛ إذ عمد إلى تقعيدها، وبيان أصولها ومعاييرها، والتنظير لها في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»؛ بحيث عرض نظريته في علم البيان، بوُضوحٍ، في كتابه الأول، ونظريته في علم المعاني في مؤلَّفه الآخَر. وجاء بعده جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)؛ صاحب «الكشَّاف»، فعمِل على توضيح الحدود بين علمي البيان والمعاني، بعدما كانت غير محددة من قبْلُ، وكان ينظر إلى علم البديع بوصفه ذيلاً للعِلمين المتقدمين لا علمًا قائمًا بذاته.



ودخلت البلاغة العربية، بعد الجرجاني والزمخشري، مرحلة أخرى امتازت أساسًا بالجمود والركود، والاحتفال المفرط بالتفريع والتقنين، والسعي إلى التجميع وكتابة الشروح والتلخيصات على مصنفات السابقين.. إنها مرحلة يصفها بعضهم بالانحطاط في تاريخ البلاغة العربية. ومن الأسماء التي تنتمي إلى هذه الفترة الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) صاحب «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»، والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) صاحب «مفتاح العلوم»، والخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) صاحب «تلخيص المفتاح».

ويحْسُن بنا أنْ نشير، هنا، إلى أن تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة المعروفة الآن يُعزى إلى السكاكي. فأما علم البيان –كما يعرِّفه هذا الأخير– فهو «علم يُعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز –بالوقوف على ذلك– عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد». ومن مباحثه الأساسية: الحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكِناية. وأما علمُ المعاني فيتناول مسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكيفية إيراد المقال بما يناسب المقام حتى يتحقق التواصل والتفاهم بين مرسِل الخطاب ومستقبِله. ولعل من أبرز مباحثه: الخبر والإنشاء، والوصل والفصل، والإيجاز والمساواة والإطناب. وأما علم البديع فيبحث في وجوه تحسين الكلام بعد مراعاة مطابقته لمقتضى الحال، ونقصد هنا ما يُعْرف بـ«المحسّنات البديعية»، سواء التي يراد بها تحسين اللفظ (مثل الجناس والسجع)، أو التي يُقصد بها إلى تحسين المعنى (مثل: الطباق والاقتباس). وقد اختلف بلاغيُّونا في عدد هذه المحسنات على نحْو واضح؛ إذ هي عند ابن المعتز ثمانية عشر، وعند أبي هلال العسكري خمسة وثلاثون، وعند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) خمسة وتسعون ومائتان (٢٩٥).

إن البلاغة العربية تختلف عن البلاغة اليونانية (الرِّيطُوريقا) في عدة جوانب؛ كما وضَّح عبد الفتاح كيليطو في أحد فصول كتابه «الأدب والغرابة». فإذا كانت البلاغة اليونانية قد نشأت وتبلورت في جوٍّ ديمقراطي، مستهدِفةً إبراز قوانين إنتاج الخطاب المؤثِّر والمُقْنِع؛ لأنها كانت ترمي إلى جَعْل الخطيب أو الكاتب متحكِّمًا في آليات إنتاج الخطاب المذكور.. إلا أن البلاغة لدى العرب قامت في بيئة مخالفة عمومًا، وسَعَتْ إلى تبيان قوانين تفسير الخطاب؛ لأنها ارتبطت –في نشوئها– بالنصِّ القرآني، وتوخت خدمته كسائر العلوم العربية، والبرهنة على إعجازه. وإن «اختلاف المقصد يظهر كذلك في التقسيمات المختلفة التي لجأت إليها البلاغتان»؛ كما يؤكد د. كيليطو نفسُه، علمًا بأن عملية التقسيم –في ذاتها– ليست بريئة تمامًا، بل إنها خاضعة للخلفية الفكرية والمعرفية للقائم بها.

وسيعرف تاريخ البلاغة منعطفًا بارزًا منذ أواسط القرن العشرين، مع بيرلمان (Ch. Perelman) وتيتيكا (O. L. Tyteca) وغيرهما من رواد «البلاغة الجديدة» الذين حرَصُوا على ربط البلاغة بالحِجاج ربطًا قويًّا، وتناولوها بمناظيرَ مختلفة، مستفيدين من ثمار التطور الكبير الذي شهدته الحركة النقدية الأدبية خلال القرن الماضي في الغرب خصوصًا.

يقول أحدُ الباحثين المعاصرين مقارنًا هذه البلاغة بالبلاغة الكلاسيكية التي سادت أردَاحًا متطاولة من الزمن: «إذا كانت البلاغة التقليدية بلاغة معيارية تعليمية تربط فن البلاغة بالخطابة والإقناع والإمتاع والبيان، فإن البلاغة الجديدة قد تعاملت مع الخطابات النصية المختلفة منذ منتصف القرن العشرين تعاملاً علميًّا وصفيًّا جديدًا ضمن مجموعة من الاتجاهات: لسانية، وأسلوبية، وحِجاجية، وتداوُلية، وسيميائية. وأكثر من هذا، أصبحت للبلاغة اليومَ إمبراطورية واسعة، وامتدادات شاسعة».

ولا يمكن، في حقيقة الأمر، إدراكُ مفهوم البلاغة، وملامسة كُنْهه، ما لم يلمّ الدارس بهذه الامتدادات والحقول المعرفية ذات الصلة الوُثقى بالبلاغة. يقول كيليطو: «إننا عادةً نتكلم عن البلاغة وكأنها شيءٌ واضحُ المعالم، معروضٌ أمامنا ببساطة، وما علينا إلا أنْ نقطف ثمارَه.. هذا تصور ينبغي تصحيحُه. ذلك أن ما يسمى بالبلاغة مغروسٌ في غابة من المعارف والعلوم، وليس من الصواب منهجيًّا دراسة أحد هذه العلوم بمعْزل عن العلوم الأخرى. البلاغة لها ارتباطاتٌ بالنحو والتفسير وعلم الإعجاز وعلم الكلام».

تِلْكُم باختصار إلمامةٌ بمفهوم البلاغة، وبتاريخها ومنعرجاتها الكبرى، وعلى الرغم من كثرة ما كُتب عن البلاغة من دراسات قديمًا وحديثًا، لدى العرب ولدى غيرهم، إلا أنها ما تزال في حاجةٍ إلى مزيدٍ منَ الأبحاث الرامية إلى تناولها من زوايا أخرى، وبمناهج علمية معاصرة أكثر نجاعة وفعالية، وإلى بحْث علاقاتها بحقول أخرى ونحْو ذلك من الموضوعات المهمة جدًّا. ولا بد من أنْ نشير إلى أن البلاغة لا تقتصر على الملفوظ وحده، بل تكون في أبواب وأمور أخرى عدة؛ فقد سُئل ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) عن البلاغة قديمًا، فأجاب بأنها «اسمٌ لِمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خُطَبًا، ومنها ما يكون رسائلَ؛ فعامَّة هذه الأبواب الوحيُ فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة».